لم يمكن وضع مرادف لها فحينئذٍ فقط تُقلَّم زوائدها ليسهل النطق بها وليتمكن الخاص والعام من لفظها. واماً كيفيَّة تقليم هذه الزوائد فليس لهُ قاعدة مُطَّردة يُجرَى عليها

واماً الكلام عن الالفاظ الاعجميَّة المنقولة فنجعلهُ موضوع مقالة الترجمة وقواعدها وسوف نأتي بها ان وافقتنا الفُرَص ان شاء الله تعالى

رسم خرائط لبنان

للاب هنري لامنس اليسوعي

لا يجهل احد فائدة الخرائط في الدروس الجغرافيَّة. فلولاها لضرب المدرّسُ الريح وكتب على صفحات الماء. فيكون مثَلهُ مثل استاذ الطبيعيَّات لا يُثبت تعليمهُ بالعمليَّات او مثل مدرّس الرياضيَّات لا يقيّد علمهُ بالتمرينات الحسابيَّة

ولكن اين هذه الخرائط؟ فانَّ لبنان الذي عليهِ مدار دروسنا محصور الحدود وليس لهُ خرائط خاصَّة بهِ الَّا النزر القليل. اماً خرائط سوريَّة العامَّة فان مقياسها قصير جرٌّ فلا تجد فيها للُبنان مكانًا يُذكر مع انَّك لو اردت درس هذا الجبل لا ندحة لك من خرائط كبرى ذات مقياس واسع ومثل هذه الخرائط عزيزة الوجود

*

اوَّل من وصف لبنان سترابون الجغرافيّ العظيم الَّا انهُ اخطأ في هذا الوصف وبخطائهِ كان سبباً لاوهام الذين اتوا بعدهُ. وقد اثبتنا عند ذكرنا لبنان ووجهة امتدادهِ وحدودهُ في كرور الاجيال (المشرق ٥: ٣٦٤) ما ارتاءهُ هذا الكاتب الشهير في حقّ لبنان اذ بدل وِجهتهُ فظنَّ انَّ هذا الجبل والجبل الشرقي يمتدَّان من الغرب الى الشرق بدلًا من الجنوب الى الشمال. اعني انهُ كان يجعل احد طرفي هذين الجبلين عند بحر الشام والطرف الآخر عند دمشق كما ترى في الرسم الذي نثبتهُ في الصفحة التالية

فلعمري انَّ مثل هذا الوهم كان من شأنهِ أن يشوّه صورة لبنان كما تُشوَّهُ صورة الانسان لو جُعلت قدماهُ في رأسهِ ورأسهُ في قدميهِ. ومع سوء هذا التصوُّر للبنان تال راي سترابون الحظوى لدى كثيرين ولم يقدر بلينيوس الطبيعيّ وغيرهُ ممَّن اصابوا المرمى في تعريف موقع لبنان ان يبطلوا هذا الزعم

ثمَّ جاء العرب ووصف كتبتُهم البلدان وفي جملتها لبنان ولا تراهم يحيدون عن طريق الصواب في رسم وجهتهِ الَّا انَّهم لم يحسنوا بيان حدودهِ فربَّما ادخلوا في لبنان جبالًا ليست منهُ. ثمَّ انَّ تآليفهم بقيت مجهولةً في اوربَّة الى القرن الثامن عشر فكان مصطنعو الخرائط يستندون الى اقوال سترابون فيرسمون لبنان كما تخيَّلهُ هذا الجغرافيّ. منهم العلَّامة بوشارت في كتابهِ « الجغرافيَّة المقدَّسة » وسلَّاريوس صاحب « العالم القديم » وكلاهما من مشاهير الكتَّاب ازهرا في القرن السابع عشر

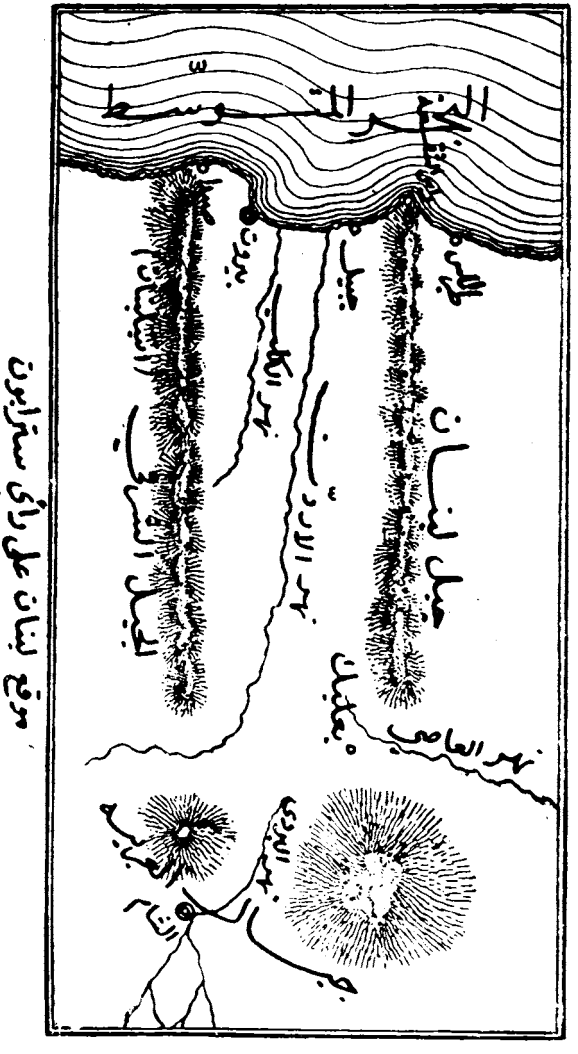

صورة لبنان على زعم سترابون

ومن اوَّل الذين عاكسوا هذا الوهم الهولندي ادريان ريلند (Reland) في كتابهِ عن فلسطين (١ . وكان في اوَّل امرهِ يذهب في ذلك مذهب اسلافهِ الَّا انهُ لحسن حظِّهِ وقف على رحلةٍ كتبها الانكليزي هنري مَوْندرل (Maundrell) كان وصف فيها

(١ عنوانهُ Palæstina ex monumentis veteribus illustrata

سفراً باشره في اواخر القرن السابع عشر من حلب الى اورشليم واكثر فيهِ من التفاصيل الجغرافيَّة . فنبَّه هذا التأليف افكار ريلند واستفاد من خريطةٍ كان رسمها موندرل المذكور ولم ينشرها بعد

فكانت هذه اوَّل خريطة للبنان وهي بالنسبة الى معارفنا اليوم مخلَّة من وجوهٍ عديدة كأنَّها عملُ تلميذٍ لا يُحسن الرسم فلا تكاد تجد فيها سوى بعض اسماء الامكنة الواقعة على ساحل البحر دون مراعاة للمسافات التي بين الانهار ومواقع المحلَّات . اما جهات لبنان الداخليَّة فهي خاوية ليس فيها اسم بلد اللهمَّ الَّا بحيرة اليمونة . ومع هذا ترى صاحبها قد اصاب في رسم وجهة لبنان والجبل الشرقيّ وجعل الجبلين موازيين مع الاشارة الى سهل البقاع المنبسط بينهما . وتلك نتائج حسنة بالنسبة الى ذلك الزمان لا سيَّما انَّ ريلند كان مهَّد بهذا العمل الطريق لمن يأتي بعدهُ وازال العقبات التي كانت تحول دون الترقي الجغرافي في درس لبنان

هكذا نشأت اوَّل خريطة لجبلنا فكانت مع نقصها اساساً بنى عليهِ كتبة القرنين الثامن عشر والتاسع عشر فحسَّنوها وكمَّلوها . وقد اشتهر بينهم الجغرافيّ الجرماني كَل ريتر الذي افرد لوصف لبنان قسماً كبيراً من المجلد السابع عشر من تأليفهِ المعنون « الجغرافيَّة المقابلة » وهو اوسع وصفٍ يُعرَف لهذا الجبل لم يفقد شيئاً من محاسنهِ وفوائدهِ بعد نصف قرنٍ من عهد ظهوره

الَّا انَّ الخرائط اللبنانيَّة في هذه المدَّة لم تَخطُ كهذه الخطوات في سبيل التقدُّم بل بقيت على خلَقها . وانَّما كان اصحاب خرائط سوريَّة يخصّون لبنان بمكان صغير فيثبتون خريطة ريلند السابق وصفها مع شيء من التحسين في الدلالة على مصبّ الانهار ونتوءات الارض وقياس المسافات وكذلك ترى زيادةً في اسماء القرى وذكرًا لاقيسة علوّ الآكام والقمم . وقد امتازت بين هذه الخرائط خريطة فلسطين للراسم الالماني الشهير هنري كيپرت (H. Kiepert) التي نُشرت في سنة ١٨٥٦ ادرج فيها صورة جبل لبنان ولكنَّ هذه الخريطة كانت على مقياس $\frac{1}{600,000}$ فلم يمكن صاحبها لضيق المكان ان يتَّسع في ذكر هذا الجبل واعمالهِ . ثم اعاد كيپرت رسم خرائط سوريَّة غير مرَّةٍ دون ان ينال لبنان حظاً اوفى من المرَّة الاولى

وبعد سنتين لظهور خريطة كيپرت ابرز سنة ١٨٥٨ الضابط الهولندي ڤان دي ڤلد

(Van de Velde) خريطة حسنة للاراضي المقدَّسة جعل حدودها الشماليَّة لبنان الى نهر الكبير. وكان مقياس هذه الخارطة $\frac{1}{\text{٢١٥,٠٠٠}}$ اعني انَّهـا كانت نحو ضعف خارطة كيبرت فنال لبنان حظَّهُ منهـا وهي تستحقّ ذكرًا خصوصيًّا ليس فقط لِسَعَتها لكن ايضًا لسَيْر صاحبها على طريقة علميَّة. فانَّ راسمي الخرائط السابقة كانوا بنوا رسومهم على اقوال اهل الرِحَل والمسافرين الذين دوَّنوا ملاحظاتهم بدون آلات رصديَّة او بلا تدقيقٍ كافٍ في الرسوم او الحسابات الترغنومتريَّة. فاراد ڤان دي ڤلد ان يسدَّ هـذا الخلل فطاف جهات فلسطين لهذه الغاية اماَّ لبنان فانهُ لم يُجرِ فيهِ غير رصود قليلة بنفسهِ لكنَّهُ وجد في بعض زملائهِ ما اغنـاهُ نوعًا عن ذلك فانَّ الاميركيّ روبنصن وقنصل بروسية في دمشق العلاَّمة وِتْشتين كانا باشرا بعض هذه الرصود. وكذلك كان ضبَّاط البحارة الانكليزيَّة قاسوا سواحل لبنان والجهات المجاورة لها. فانتفع ڤان دي ڤلد من هذه المساعي العلميَّة الجليلة ورسم خارطتهُ وفقًا لها فجاء عملهُ محكمًا وافيًا يُعَدّ بروزهُ كنقطةٍ مهمَّة في تاريخ خرائط لبنان (١. ثم زار ڤان دي ڤلد ثانيةً جبل لبنان وطبع خريطتهِ بعد مدَّة فزاد في تحسينها وتلافى شوائبها

هذا ومع فوائد الخرائط المذكورة لم يتفرَّغ الى ذاك العهد احد من العلماء لرسم خارطة خاصَّة بلبنان دون سواه حتى نهض لهذا العمل الجليـل قومٌ من ضبَّاط البعثة الفرنسويَّة الى سوريَّة فرسموا بعد الرصود والاقيسة التوپوغرافيَّة خارطةً للبنان تُعرف باسمهم مقياسها $\frac{1}{\text{٢٠٠,٠٠٠}}$ طولها ٨٩ سنتيمترًا في عرض ٦٧ اودعوهـا من اعلام الامكنة ما لم يسبقهم اليهِ غيرهم وهي تحتوي ليس فقط اسماء معاملات لبنـان بل تمتدّ ايضًا الى الجبل الشرقي والبقاع وبلاد بشارة

ومن محسّنات هذه الخارطة انَّ اصحابها كرَّروا اقيسة الارتفاعات التي قام بها سابقًا القنصل برتون الانكليزي مع غيره من العلماء الاميركان والانكليز والالمان وكمّلوها. واصلحوا ايضًا اغلاطًا اخرى عديدة كما انَّهم اتقنوا تصوير لبنان في سلسلتهِ الكبرى وفي الفروع المتشعّبة منهُ مع حُسن رسم انجاده ومشارفهِ ومنعطفاتهِ ووجهة أوديتهِ وكل حزونهِ وبطونهِ فضلًا عن طرقهِ وعقباتهِ. وكانت هذه الفوائد مدوَّنةً على الخارطـة على احسن هيئة واجود نظر (لها بقيَّة)

١) راجع المجلَّة الالمانيَّة الاسيويَّة (ZDMG, XIII, 726)